@ 274 @ جوازه سماع من العرب . ولما أجابوا ا بدؤا بتنزيهه وبرائته من كل سوء ، كما قال عيس عليه السلام : { سُبْحَانَكَ } ، ثم انتسبوا إلى موالاته دون أولئك الكفرة ، أي { أَنتَ وَلِيُّنَا } ، إذ موالاة بيننا وبينهم . .

وفي قولهم : { بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ } ، إشعار لهم بما عبدوه ، وإن لم يصرح به . لكن الإضراب ببل يدل عليه وذلك لأن المعبود إذ لم يكن راضياً بعبادة عابده مريداً لها ، لم يكن ذلك العابد عابداً له حقيقة ، فلذلك قالوا : { بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ } ، لأن أفعالهم القبيحة من وسوسة الشياطين وإغوائهم ومراداتهم عابدون لهم حقيقة ، فلذلك قالوا : { بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ } ، إذ الشياطين راضون تلك الأفعال . وقيل : صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن ، وقالوا : هذه صور الملائكة فاعبدوها . وقيل : كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت ، فيعبدون بعبادتها . وقال ابن عطية : لم تنف الملائكة عبادة البشر اياها ، وإنما أقرت أنها لم يكن لها في ذلك مشاركة . وعبادة البشر الجن هي فيما يقرون بطاعتهم إياهم ، وسماعهم من وسوستهم واغوائهم ، فهذا نوع من العبادة . وقد يجوز أن يكون في الأمم الكافرة من عبد الجن ، وفي القرآن آيات يظهر منها أن الجن عبدت ، في سورة الأنعام وغيرها . انتهى .

وإذا هم قد عبدوا الجن ، فما وجه قولهم : أكثرهم مؤمنون ، ولم يقولوا جميعهم ، وقد أخبروا أنهم كانوا يعبدون الجن ؟ والجواب أنهم لم يدعوا إلا حاطة ، إذ قد يكون في الكفارة من لم يطلع الملائكة عليهم ، أو أنهم حلموا على الأكثر بإيمانهم بالجن لأن الإيمان من عمل القلب ، فلم يذكروا الاطلاع على جميع أعمال قلوبهم ، لأن ذلك تعالى . ومعنى { مُؤْمِنُونَ } : مصدقون أنهم معبودوهم ، وقيل : مصدقون أنهم بنات ا ، وأنهم ملائكة ، { وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً } . وأما من قال بأن الأكثر بمعنى الجميع ، فلا يرد عليه شيء ، لكنه ليس موضوع اللغة . .

{ فَالْيَوْمَ } : هو يوم القيامة ، والخطاب في { بَعْضُكُمْ } ، قيل : للملائكة ، لأنهم المخاطبون في قوله : { أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ } ، ويكون ذلك تبكيتاً للكفار حين بين لهم أن من عبدوه لا ينفع ولا يضر ، ويؤيده : { وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى } ، ولأن بعده : { وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ } ، ولو كان الخطاب للكفار ، لكان التركيب فذوقوا . وقيل : الخطاب للكفار ، لأن ذكر اليوم يدل على حضورهم ، ويكون قوله : ويقول ، تأكيداً لبيان حالهم في الظلم . وقيل : هو خطاب من ا لمن عبد ومن عبد

. وقوله : { نَفْعاً } ، قيل : بالشفاعة ، { وَلاَ ضَرّا } بالتعذيب . وقيل هنا : { الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذّبُونَ } ، وفي السجدة : { الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ } كل منهما ، أي من العذاب ومن النار ، لأنهم هنا لم يكونوا ملتبسين بالعذاب ، بل ذلك أول مارأوا النار ، إذ جاء عقيب الحشر ، فوصفت لهم النار بأنها هي التي كنتم تكذبون بها . وأما الذي في السجدة ، فهم ملابسو العذاب ، متردّدون فيه لقوله : { كُلَّمَا أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواُ مِنْهَا أُعِيدُواْ فِيهَا } ، فوصف لهم العذاب الذي هم مباشروه ، وهو العذاب المؤبد الذي أنكروه . .

والإشارة بقوله : ما { هَاذَا إِلاَّ رَجُلٌ } ، إلى تالي الآيات ، المفهوم من قوله : { وَإِذَا تُتْلَى } ، وهو رسول ا صلى ا عليه وسلم) . وحكي تعالى مطاعنهم عند تلاوة القرآن عليهم ، فبدؤوا أولاً بالطعن في التالي ، فإنه يقدح في معبودات آلهتكم . ثانياً فيما جاء به الرسول من القرآن ، بأنه كذب مختلق من عنده ، وليس من عند ا . وثالثاً : بأن ما جاء به سحر واضح لما اشتمل على ما يوجب الاستمالة وتأثير النفوس له وإجابته . وطعنوا في الرسول ، وفيما جاء به ، وفي وصفه ، واحتمل أن يكون ذلك صدرمن مجموعهم ، واحتمل أن تكون كل جملة منها قالها قوم غير من قال الجملة الأخرى . وفي قوله : { لَمَّا جَاءهُمْ } دليل على أنه حين جاءهم لم يفكروا فيه ، بل بادروه بالإنكار ونسبته إلى السحر ، ولم يكتفوا بقولهم ، إنه سحر حتى وصفوه بأنه واضح لمن يتأمله . وقيل : إنكار القرآن والمعجزة كان متفقاً عليه من المشركين وأهل الكتاب ، فقال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقّ } ، على وجه العموم . .

{ وَمَا ءاتَيْنَاهُمْ مّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مّن نَّذِيرٍ * وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِمْ وَمَا